Hebron University Research Journal-B (Humanities) - (مجلة جامعة الخليل للبحوث- ب (العلوم الانسانيه)

Volume 14 | Issue 2 Article 5

2020

القيم الوطنية في شعر محمود مفلح

منال الرياشي
جامعة فلسطين, q.z.v1990@gmail.com

Follow this and additional works at: https://digitalcommons.aaru.edu.jo/hujr_b

Recommended Citation
الرياشي, منال (2020) "القيم الوطنية في شعر محمود مفلح," *Hebron University Research Journal-B (Humanities) - (العلوم الانسانيه) ب- مجلة جامعة الخليل للبحوث*: Vol. 14 : Iss. 2 , Article 5.
Available at: https://digitalcommons.aaru.edu.jo/hujr_b/vol14/iss2/5

This Article is brought to you for free and open access by Arab Journals Platform. It has been accepted for inclusion in Hebron University Research Journal-B (Humanities) - (العلوم الانسانيه) ب- مجلة جامعة الخليل للبحوث by an authorized editor. The journal is hosted on Digital Commons, an Elsevier platform. For more information, please contact rakan@aaru.edu.jo, marah@aaru.edu.jo, u.murad@aaru.edu.jo.

Hebron University Research Journal (B)
Vol.(14), No.(2), pp.(126-150), 2019

H.U.R.J. is available online at
http://www.hebron.edu/journal

القيم الوطنية في شعر (محمود مفلح)

أ.منال صالح الرياشي، جامعة فلسطين، غزة

الملخص

الشعر ترجمان الحياة، وفاحص نبض القلب، ومُجلِّي تأملات الواقع، وكاشف كوامن النفس، تُخطُّ خطرات الفكر به، وتُرسم في كلماته صورٌ متحركة بألوانها وأنساقها وبدائعها، يظل يعرض مشاهد الحياة كما يحسُّها أمام نواظر المتلقين، ويتسلل إلى دواخلهم، فيسرق لبَّهم، وقد استطاع شاعر الغربة الفلسطيني (محمود مفلح)، أن يحرك السواكن، وأن يمنح بريقًا للدواكن، ويأخذ متلقيه إلى حقائق الواقع، يصوِّر له نضال شعبه، وتضحيته، وانتماءه، وتمسكه، ووحدته، وتقترب عدسة قصائده من سلاح الثوار الشجعان الذين وقفوا في وجه عدو الوطن والإنسان، في ظلِّ واقع عربيٍّ متشرذم، كان الشاعر يعيش ذلك كله؛ لذا استطاع أن ينسج بكلماته وموسيقى قصائده الميدان وما فاح منه من قيم وطنية، جسَّد فيها صورة الفلسطيني البطل، الذي لا يترك حقه للنهب والسلب، ولا يدع أخاه في ذلة أو مهانة، ولا يقبل الاستسلام والقهقرى، ولا يحطُّ سلاحه مقابل رذاذٍ من المنح، وهذا البحث يضم تلك القيم الفريدة التي تجلَّت في أعمال الشاعر بصوت غير مخفوض.

الكلمات المفتاحية: القيم، الوطن، الشعر، محمود مفلح.

Abstract

Poetry is a life translator, the pulse of the heart, reflections of reality, self-revealing detector, and detecting thoughts through it. Through its words, animated pictures with their colors, is drawn patterns and inventions. Poetry displays the scenes of life as it senses in front of the recipients, sneaks into their intents and steal their hearts. The Palestinian poet of expatriation (Mahmoud Mufleh) was able to stimulate the sentiments, to give brightness to the darkness, and to take his recipient into reality, portraying the struggle of his people, his sacrifice, his belonging, his adherence and his unity, where the lens of his poems approaches the brave liberty fighters who stood in the face of an enemy despite

the fragmented Arab conditions. The poet lived all of that and he was able to weave in his words and music his poems of the field and the national values that inspired him. He embodied the image of the heroic Palestinian who does not leave his right to plunder and looting, does not accept capitulation and defeat, and does not disarm himself in return for a spray of grants. This research includes those unique values that have been manifested in the works of the poet of an undiminished voice.

Key words: Values, Homeland, Poetry, Mahmoud Mufleh

المقدمة:

للوطن الحب، والانتماء، والولاء. هو الأرض، والسماء، والهواء. هو المقر، والمستقر، وإليه تتوجه القلوب بلا انقطاع، وتحميه السواعد والقلاع، وتهب لأجله الجموع كثرةً باندفاع، وتشتغل العقول لرفعته وسموِّ قدره، ينتمي إليه السادة والعبيد، ويحبه الصغار والكبار، ويدافع عنه العلماء والأدباء والشعراء، يشتاق إليه مَنْ فيه ومن غاب عنه، ويعشقه أهله على العسر واليسر، لا يضجرون منه عند مكره، ولا يتركونه عند استلاب، ولا يخذلونه وقت اعتداء، ولا يهربون عنه في اللأواء، يحبون للدفاع عنه بذل الغالي والنفيس، فقدم العاشقون الدماء له رخيصة؛ ليبقى حرًا، وبذل المحبون المال فدية؛ ليكون قويًا، فنعما ما قدم هؤلاء، وبذل أولئك. الوطن منارة يجتمع فيها أبناؤه، ويحيا تحت لوائه جنوده وأبطاله؛ كان وما زال وجهة الشعراء، ومشغلة أقلام الأدباء، ومفخرة الأوفياء، لم تنته القصائد عن مدحه وقت الرخاء، ولا عن رثائه حين البلاء، ولا الافتخار به حين النصر على الأعداء، ولا عن الوصف لِما فيه من الروعة والفن والجمال، فكانت قصائد الشعراء مفعمة بالمعاني الجميلة التي تعطيه شيئًا من الواجب عليهم، ووطني فلسطين الوطن المقدس حظي نصيبًا كبيرًا من الكتابات الأدبية، ومنها القصائد الشعرية، وللشاعر محمود مفلح، جهدٌ أدبي لا ينكر، وقلمٌ شعريٌ لا يُجهل، ونفَسٌ ألقٌلم لم يذبُل، في بث حب الوطن، والانتماء له، والدفاع عنه، والبذل لأجله بالغالي والنفيس، وتلك قراءة موضوعية محلاة بالجمال عن بعض القيم الوطنية التي ترشح بها أشعاره، وتصدح بها أبياته.

أهمية البحث: إنَّ ترسيخ القيم الوطنية في نفوس الأجيال المتعاقبة ضرورةٌ ملحةٌ، ومهمةٌ واجبةٌ، وعملٌ مقدسٌ، واعتماد الشعراء بثها في دواوينهم وقصائدهم لهُوَ محضُ شرفٍ وكرامةٍ وتزيي بزيٍّ يليق بمقام الوطن، وحق المواطن، فاللغة الشعرية الفنية هي أقدر وسيلة إبلاغ من جهة، وجماليةٍ تأثيرية من جهةٍ أخرى، في ترسيخ الحق الوطني، وفي نقل الصورة عن الواقع بشكله الدقيق الكامل في تفاصيله وأجزائه وألوانه وحركاته، لا سيما والواقع العربي يعيش حالة من الخَوَر، والتراجع في كثيرٍ من القيم، ومنها القيم الوطنية على صعيد الهُوية، والانتماء، والوَحدة، والأمن، والتاريخ، والرمزية، وغيرها، فطفت على السطح ظواهر لا تمت بصلة إلى الوطنية، كالخيانة، والتفرق، والإرهاب، والحزبية، والفساد، وغيرها،

ومن هنا اتَّقدت في الذِّهن فكرةُ البحث، فانطلقت الباحثة تجِدُّ في الكشف عن القيم الوطنية النبيلة، واختارت الأعمال الشعرية الكاملة للشاعر محمود مفلح؛ لكونها تزخر بقيم متعددة، تُثري النفس الإنسانية بالتزكية، ومنها القيم الوطنية التي عرضها بأساليب فنِّيَّة متعددة، وأبنيةٍ جماليةٍ مؤثرة.

أهداف البحث: هناك جملةٌ من الأهداف التي وضعت الباحثة جَهْدَها؛ لتحقيقها وبلوغها، من أهمها: الوقوف عند أنواع القيم الوطنية التي تضمنتها الأعمال الشعرية للشاعر محمود مفلح، واستخلاص القيم الوطنية، وبيان أثرها في الفرد والجماعة، والكشف عن القيم الوطنية في الأعمال فنيًا، واستكناه تجليات الشاعر في الكشف عنها، مع تبيان أساليب الإبلاغ والفنية التي حمل القيم بها إلى قُرائه.، وبث القيم الوطنية التي كان الفلسطيني حامل لوائها في سيرته ومسيرته، رغم وعورة الطريق، وتكاثر الأعداء والخصوم، والتأكيد على أهمية التحلي بالقيم الوطنية كما يعيشها الفلسطيني ويعكسها على الأمة العربية والإسلامية.

منهج البحث: اعتمدت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي؛ لاستكناه القيم الوطنية في الأعمال الشعرية الكاملة، وتصوير الشاعر لها، والكشف عن نسبة اهتمامه بها، ومعرفة آثارها، وأبعادها.

القيم الوطنية: هي مجموع المبادئ العامة والخاصة التي تُحدّد سلوك المواطن تجاه وطنه – **الأرض والإنسان** - وما يتعلق بهما.

أشكال القيم الوطنية: تتمثّل القيم الوطنية في الانتماء إليه، ومحبته، والعمل لنهضته، والجهاد في سبيله، وكفّ أيدي المفسدين عنه، والالتزام بالقواعد والقوانين التي تنشأ للمحافظة عليه، والقيام بالواجبات على المقدمة له على أكمل وجه. **وأبرز أشكال القيم الوطنية، توجزها الباحثة فيما يلي:**

الشكل الأول: حب الوطن والانتماء إليه، وفيه القيم التالية: (الحنين إلى الوطن، وحب الوطن، والتمسك بالوطن، والنخوة والوفاء الوطني، والتضحية من أجل الوطن، وبث الأمل والبشريات**)**، وتمثل نسبة حضورها الأعلى من القيم الأخرى بمعدل ناف عن **(44%)** من مجموع القيم الوطنية الأخرى في شعر محمود مفلح.

الشكل الثاني: الوحدة الوطنية، وفيه القيم التالية: (التآخي الوطني، **و**المُناصرة الوطنية، وعهد الأخوة، والثقة بأخوة العروبة والإسلام)، **وبلغت نسبة حضورها قرابة (22%)** من القيم الوطنية في شعر محمود مفلح، وتعد في المرتبة الثالثة حضورًا بينها.

الشكل الثالث: الثورة الوطنية، وفيه القيم التالية: (الثورة الوطنية منبت الحرية، ومحاربة الفساد والمفسدين في الوطن، والدفاع عن الوطن، وأثر البلدة الأم **(مسقط الرأس)** في النفس، والبسالة والشجاعة الوطنية، والثبات في دروب **(النصر أو الشهادة)**، والثأر والانتقام من الأعداء، والتحرر من العبودية)، وبلغت نسبة حضورها قرابة **(28%)** من القيم الوطنية في شعر محمود مفلح، وتعد في المرتبة الثانية حضورًا.

الشكل الرابع: العروبة والقومية، وفيه القيم التالية: (الانتماء القومي، وذكريات العروبة والقومية، والموقف العربي من القضية العادلة)، وبلغت نسبة حضورها قرابة **(8%)** بين القيم الوطنية في شعر محمود مفلح، وتعد في المرتبة الرابعة حضورًا بينها.

أشكال القيم الوطنية في شعر (محمود مفلح)

الشكل الأول: حب الوطن والانتماء إليه

من حب الوطن يتولد الانتماء، والإخلاص، والصدق، والنخوة، والتضحية، والدفاع عنه، والصفات الحسنة كلها، فهو أنشودة الحياة، وبسمتها، وأغنيات الآمنين، وبصمة الأجداد، وعراقة الماضي، وعشق الأبطال، ومجد الشرفاء المضحين، ودرع المرابطين. فهو دُرَّةٌ مصونة في النفوس، وكلُّ صفةٍ راقيةٍ تنبض بها الأفئدة، ودماءٍ يفوح منها العطر النفاذ، يشد إليه مَن اغترب عنه، وهذا ما جسده الشاعر في قصيدة **(الطقوس في بلاد الغرباء)**، التي بثَّ فيها التوجع من الغربة، وحاول أن يعكس الأصالة والمروءة التي أصاب نفحها من ريح وطنه، كما أراد أن يظهر مدى انتمائه إلى وطنه، وهو المغترب، فحياته لا استقرار فيها، فهي مليئة بالأشواك، ومحوطة بالقيد، فلا حرية للكلمة، ولا حق في العيش، آملًا حسب مفهوم المخالفة أنَّ الوطن يمنحه الاستقرار، والحرية، والحق، **يقول:**

آه كيف ارتأت الشوكة أن تصبح فُلَّه

في بلاد الغرباء

وانبرى العاجز عن لفظ اسمه... يصنع

دولة

في بلاد الغرباء

لا تجادل...

كل من جادل... قالوا... ما أضله!!

في بلاد الغرباء[1]

بدأ الشاعر البوح عن توجعه بانتقائه الحوار، فقد لجأ إلى الحوار الداخلي النفسي الذي كشفته زفرة **(آه)**، المعبِّرة عن أبعاد الألم النفسي والجسدي والاجتماعي استطاع الشاعر تصويره بعدسة تتحرك بشكل خاطف؛ لكنها مع ذلك لم تقصر في دفع المتلقي إلى التأمل التلقائي، وذلك ما حذا البعض ليكشف عن سرٍّ من أسرار تلك التقانة التي يعدها "الخطوة الأولى التي صرفت الشاعر عن الاهتمام بالإلقاء أو الحرص عليه باتجاه تأسيس النص المختلف، وتأكيد المنحى الكتابي للشاعر الحديث، الذي بدا غير معنيٍّ بشكلٍ ما بقضيةٍ تلقي الجمهور لشعره تلقيًا انفعاليًا[2]. أمَّا البعد النفسي فمجرد التأوه الخارج من كوامن النفس يشي بذلك الوجع الداخلي الذي يصيبها بالاحتراق أو الانكسار أو الشعور بالغربة، بينما يتجلى الألم الجسدي في استبدال الفلة بشوكة، تلك التي يعرف كلُّ واحدٍ أثر وخزها وحرارة لسعتها؛ ليكشف الشاعر حجم الألم الذي يسيطر على جسد الأمة كلها ذلك الذي يستبين من قوله **(في بلاد الغرباء)**، تلك شكوى لاذعة المصير يبوح بها المُهَجَّرُ عن وطنه، وهو يعاني المرارات، وتعاود النص تقانة الحوار من جديد بأسلوب الاستفهام عن الحال بالكيفية التي تثير الدهشة والغرابة؛ بل تصل إلى حدِّ الإنكار من بؤس الواقع المعيش، كيف تحاول الشوكة والغصة أن تتقمص شكل الفلَّة، وأن يقدر عاجزٌ أن يبنيَ دولة؛ لكنَّ الشاعر يسارع إلى كشف المستور، وإزالة العوار عن العيون، ويقرر حقيقة لا مناص فيها مِن أنَّ ذلك يحصل في مكانٍ هو فيه

غريب، مكانٍ ينغلق فيه المفتوح، ويجهل المعلوم، ويوضع ذو الشأن، ويحقر أهل الرفعة، ففي بلاد الغرباء تجد العجب العجاب، تجد نتائج لا تُحمد عواقبها، فمن يجادل في الحق يُتَّهم بالضلال، ومن يَصْدُقُ يُتَّهم بالبله، ومَن يؤتمنُ يُتَّهم بالخيانة، لذا فالشاعر بذاته التي لاقت من التجربة والخبرة ما لاقت يُقدِّم نهيًا في ثوب نصيحة **(لا تجادل)**؛ لكون المجادل في المسلمات مشاكسًا، لا يحب للمصلحة العامة أن تسود، ولم يعد مصدقًا؛ بل ويتهم بالضلال، وهذا ما يحدث في بلادٍ كلُّ ما فيها غريب.

القيمة الأولى: الحنين إلى الوطن

يندفع الحنين من قلب الوجدان، يشع سرورًا، ويشدو فرحًا حينًا بأمل يُقرِّب منه العودة إلى الوطن، ويشدو شجنًا ولحنًا حزينًا لا سيما إذا ادلهمت الخطوب، كما **في قصيدة (حكاية الشال الفلسطيني)، يقول:**

يا وجه أمي، لست أكتم سرنا المسكون فاكهة

أغاريد الصبايا السمر في بلدي وأغنية البلابل

يا وجه أمي لا أجامل....

ما كنت أهوى البندقية

بل كنت أعشق أن يغوص الجذر في رحم التراب

أجمع الأطيار فوق يدي... وأطلقها

أمرغ وجنتيَّ بجدائل (النعناع)

أحسو الشاي ممهوراً بشتلة (ميرمية)

يا وجه أمي كان لي شمسي ولي قمري ولي فرحي

المقدس... لي هوية...[3]

اختار الشاعر وجه الأم بؤرة لندائه؛ لأنه يرى كلَّ شيء في تلك المقدمة الوضاءة التي تكشف له ما خفي من ملامح سيره في طريق الحياة، فضلًا عمَّا يموج به النص الشعري – **عادةً** - عند مفلح بالتقانات الفنية التي أثْرته حيويةً، ومنحته خصوصيةً، وألبسته حللًا قشيبةً وفق مخيلة صاحبه الخاصة، فتقانة الحوار الخارجي المصحوبة بتقانة التكرار بأشكاله وألوانه ودلالاته كلها تمتد ببعديها النفسي والاجتماعي عبر أسلوب النداء المتكرر الذي يعاود الشاعر من خلاله ذِكْر الإشراقات الماضوية من حياته، مناديًا على وجه أمه الذي أكسبه أسرار المتعة، فحياته معها أشبه بفاكهةٍ، لا يستطيع كبح جماح رائحتها النفاثة، ولا طعمها المحسوس، ثم يبدأ باستعراض التراث الشعبي الهادف المؤثر، بتقانة الوصف السريع ذات السمات التي يندمج فيها الداخل بالخارج، ولا تقف عند الوصف الحسي المجرد بقدر ما تصوِّر مشاعر الشاعر، ودواخله، وتعكس حالته النفسية[4] فيشرع بداية بوصف ذلك الذي يحن إليه من تصاوير الماضي المتخيلة التي تتجمع عناصرها في لوحة طبيعية أخَّاذة تتضح في أغاريد الصبايا المليحات السمر وهنَّ يغنين الأهازيج، بأصواتٍ أقرب ما تكون إلى أصوات البلابل، وهنا يستسلم الشاعر لجمال الطبيعة، ووداعة الحياة، وبراعة الذكريات، ويقدمها على حمل البندقية، ويحاول أن يكشف عن العلاقة بينه وبين ذكرياته، فهو يرغب بجمع الأطيار في كفِّه؛ ليطلقها حرةً، مشيرًا بذلك إلى ما يستهويه من رغبته في نيل الحرية،

كما يرغب أن يمرغ خديه بجدائل النعناع؛ ليشتم منها عبقًا جميلًا، ورائحةً طيبةً، ملمحًا إلى شوقه في شمِّ رائحة تراب الوطن الزكية، ويرغب أن يشرب الشاي الممهور بورق الميرمية ذي المذاق الرائع، لافتًا إلى تلك النبتة التي يزرعها الفلسطيني على سفوح الجبال، ثم يجتاحه الحنين مرة أخرى إلى وجه أمه؛ ذاكرًا تأثيره فيه، فهو شمسه في النهار، وقمره في الليل، وفرحه المقدس المستمر، فوجهها الهُوية التي تؤكد جودة نسبه، وفخامة أصالته[8].

القيمة الثانية: حب الوطن

من أمارات الحبِّ احتمال الصعاب في سبيل المحبوب، وتجاوز الآلام لأجله، وإدامة الفكر فيه، ومواصلة الدفاع عنه، والذود عن حياضه، وهذا ما اتضح في علاقة الفلسطيني بوطنه، أحبَّه حبًّا عظيمًا، فقدَّم تعبيرًا عنه دمه، وبيته، وحريته، وماله، فكان للحبِّ في نفسه أثرٌ بالغ، ترجمه عمليًا، وهذا ما كشف عنه الشاعر **في قصيدة (ديباجة)، التي يقول فيها:**

ربما يسقط وسط السَّاح آلاف الضحايا

ربما يُهدم بيتٌ فوق أطفال عرايا

ربما أدمت سياطُ الظلم أجساد الصبايا

ربما خاض تلاميذ رصاصًا وشظايا

غير أن الجذر باقٍ يرسل الشوق تحايا[5]

تتسع المقطوعة السابقة لتقانة التكرار كيما تتمدد فيها عبر كلمة **(ربما)** التي نصَّ عليها النحاة أنها تأتي للتقليل حسب الأصل، كما تأتي للتكثير في مواضع الافتخار، والوجه في ذلك أنَّ المفتخر يريد أنَّ الأمر الذي يقلُّ وجوده من غيره، يكثر وجوده منه، فيستعير لفظ التقليل في موضع لفظ التكثير؛ إشارةً إلى هذا المعنى، وليكون أبلغ في الافتخار"[6]، وقد وظفها الشاعر تحت مقصدية التكثير هنا؛ لا سيما وباؤها مشددة، في احتمالية ليست بعيدة الحصول؛ بل ربما هي الواقع الذي لا يتخيله أحد، يرسلها الشاعر مكررة؛ ليكشف عن كثرة الضحايا الذين يُستهدفون وهم في دروب الثورة، ولا يستبعد الشاعر انهدام البيوت فوق الطفولة المتكشفة البريئة، ولا يستغرب شدة وقع السياط التي تُقذف بها أجساد الفتيات والصبايا، حتى صار تلامذةُ العلمِ رصاصَ الحرب، وشرار النيران، وشظايا المقذوفات، ومع ذلك استعلى الشاعر على الجراح والنكبات والمآسي؛ مؤكدًا أنَّ الجذر والأصل باق لم يندثر، وهو باق في إرسال البشريات من التحايا وهدايا الشوق إلى كلِّ حرٍّ. والحبُّ يسوق المحبوب؛ ليتعالق في نفس المحبِّ من خلال الأوصاف، والذكريات، وغيرهما، وهذا ما استبان في حبُّ الشاعر لبلدات وطنه.

القيمة الثالثة: التمسك بالوطن

لقيمة التمسك بالهوية الوطنية أثرٌ بالغٌ في حياة الفلسطيني، فتمسكه بوطنه يبيح له أن يبذل الدم الذي يسري في الشرايين، ويهدي النبض الذي يدفق كلَّ حين، ويقدم الروح التي تفيض له حنينًا، هذا حال الفلسطيني أينما كان سواء كان ممن يكابد الغربة أم ممن بقي في الوطن، فكلاهما يُعاني مصادرة الاحتلال للهُوية،

وتزوير معالمها، وتغيير نمطها، ويصرُّ الشاعر على بقاء تمسكه بهُويته الوطنية أيَّ بقاء، وبان ذلك **في قصيدة (تقديم)، يقول:**

أنا منذ أطلقت الشراع عرفت أنَّ لنا قضية

وعرفت أنَّ لنا هُوية

وعرفت أن المارقين الحاقدين الخائنين هم البليَّة

فرجمتهم... ورجمت آلهة السياسة والبذاءة

والنجوم الخُلّبية

ورجعت أشكال الجزارة والنخاسة والوصاية

في الشعوب الجاهلية[7]

تقانة الزمن الذي يربط الشاعر فيه بين أحداث الماضي التي تعود من جديد في ثوبٍ استرجاعيٍّ يوظف فيه الكثير من مفردات التراث الذي تأثرت به البشرية في حقب من الزمن **(الرجم، الجزارة، النخاسة، الوصاية، الجاهلية)**؛ لكنه يكسوها بأشكالها الواقعية اليوم، والتي تزيد الواقع مرارةً وقتامة، كأنَّ الزمن يُعيد نفسه، كما استرجع الشاعر صورًا لمفردات الماضي الطبيعة والحياتية التي كان الشعراء الماضويون يلجؤون إليها في التعبير عمَّا يشعرون به، **(الشراع، الآلهة، النجوم)**، مستغلًا الفعل الماضي الذي التصق به ضمير الرفع المتكلم **(عرفت)** مترددًا في المقطوعة ثلاث مرات، فمنذ جاب الشاعر عباب البحر، وخاض غماره، وأطلق شراع سفينته، أنَّ للفلسطينيين قضية، وعرف كذلك أنَّ الذين يعترضون سفينته، ويقفون حاجز منعٍ أمامها هم حفنةٌ من المارقين قطَّاع الطرق الخائنين، الذين هم شرُّ البرية، كان موقف الشاعر منهم ومن أرباب السياسة والبذاءة الرجم وهو ذات الموقف الذي أقره الدين من الزاني المحصن.

القيمة الرابعة: النخوة والوفاء الوطني

إنَّ النفس الفلسطينية اعتادت النخوة في المواقف كلها، فلم تُسجل على الفلسطيني كينونةُ الأنانية، وكان ظهورها مع الوطن ابلغ ظهور، وهو يحمل في ظلال الغربة بين جنباته وطنه، يفكر فيه، ويكشف عن مباعدته العمدية لكل ما يحاول أن ينسيه وطنه، ولا يسمح لنفسه أن ترزح تحت نير الأفكار العقيمة التي تحجز بينه وبين وطنه، كما حضرت قيمة وفائه لوطنه التي تُعدُّ من القيم الجمالية، التي تحضر بقوة في الشعر الفلسطيني، كما حضرت في قصائد **(محمود مفلح)**، كما **في قصيدة (تقديم)، التي يقول فيها:**

أنا لا أفتش في مقاهي الليل عن لغة الوطن

أنا لا أسافر في تخوم الكأس كي أنسى الشجن

أنا لا أقاتل في الخفاء ولا أتاجر بالحجارة...

لا أتاجر بالكفن

أنا لا أصيح كما ديوك الشعر من فوق الدمن...[8]

تقانة الإيقاع والجرس التي تعلو جمالًا وتألقًا من خلال تقانة التكرار للضمير أو لحرف النفي **(لا)**، مع ما يحمله النفي من بيان الإرادةٍ الصُّلبة للنفس التي تقهر شهواتها، فكلُّ المنفيات المذكورات مما تشتهيها النفس

وتستسهل القيام بها، وتصل من خلالها إلى الكثير من الغايات، فجاءت أداة النفي؛ لتحُوْل بين الشاعر وما أريد له أن يكون، ومن ذلك تتجلى دلالة الأنفة للنفس، والقوة في زجر المؤثرات السلبية التي تحاول أخذها إلى ميدان الهزيمة والضعف، وقد تأكدت تلكم الدلالات من خلال تكرار الأنا، وتكرار ما نفي عن تلك الأنا بأداة **(لا)** حتى ارتسمت في نفس القارئ صورة الشموخ والإباء والأنفة عن أنا الشاعر التي هي الأنا الفلسطينية المتمردة على الشهوات، ثم يعاود النص العلو من جديد من خلال الأوزان المتسقة المتماثلة للأفعال المضارعة المنفية التي تسجل حركة الحاضر **(لا أسافر، لا أقاتل، لا أتاجر... وتكررت مرتين)،** ففاض النص بالشحنات الدلالية؛ ليوحي بقراءة آنية واقعية حاضرة لعزة النفس، فهو لا يحكي عن أفعال سابقة فحسب؛ بل عن أفعال تنسحب من ماضيها الأصيل، وتستمر أصالتها مغروسة في حركتها الواقعية، وذلك في ضوء جِرسٍ ناغمٍ يتمدد مع صوت النون المنغمة التي تنتهي عندها الأسطر الشعرية في كلمات متوازنة متسقة مع تلك الدلالات في كلمات **(وطن، شجن، كفن، دمن)،** تؤكد نفي العبث بها الأفعالُ السابقة، ثم تستمر الأجراس من خلال الحركات الطويلة لا سيما الألف التي توزَّعت على معظم الكلمات في النص كلها ترددت من الأنا الشاعرية في مقطوعة الشعر السابقة، حاملةً زخمًا تعبيريًا ودلاليًا صارخًا وصادحًا بالخير والحق الذي يحملهما الشاعر بكونه فلسطينيًا حرًّا، ثم تنضاف إلى ذلك الكلمات المختارة التي تصف الحقيقة بلا مواربة، فهو لا يفتش عن الكلمات التي تمدح الوطن في مقاهي الليل؛ لأنه يدرك أنَّ الذين يجلسون فيها تائهون في غيابات ذواتهم، وهو لا يسافر إلى أماكن اللهو؛ طلبًا للنشوة التي تنسيه أحزان وطنه، وهو لا يقاتل في الخفاء؛ فكيف يقاتل في الخفاء وحقه مسلوب جهارًا نهارًا، وهو لا يتاجر في ثورة أبطال الحجارة، ولا يبيع ثورة الأبطال أبطال الحجارة، وهو لا يتاجر بدم الشهداء الذين تلبدت جسومهم تحت الأكفان بعدما تمرمرت في الميادين، وسالت منها الدماء الوفية... ثم هو لا يصيح شعرًا كأولئك الديوك الذين يصيحون من علٍ؛ طلبًا للنزوة، وفي هذا يجسد الشاعر قيمة وفاء الكلمة، ووفاء الفعل للوطن. وتتعاضد أكتاف الإخوة، وتظهر أمارات نخوتهم، وحبهم لبعضهم، فيسند بعضهم بعضًا، ويُقَوِّي أحدهم الآخر، في مشهدٍ أخويٍّ راقٍ، تبرز فيه قيمة النخوة الوطنية.

القيمة الخامسة: التضحية من أجل الوطن

تبدو قيمة التضحية من أجل الوطن – **كما هو المعتاد** -حاملةً مظاهر البذل والعطاء التي تتجاوز الغالي والنفيس، وحاملةً للمصائر الصعبة في طريق تحريره، والحرص عليه، كالموت، والجراح، والعذاب، والسجن، **كما في قصيدة (لو شعَّ نور الحق)، يقول:**

كم من إمـــــــــــام عذبوه وهمهم	**أن يطمسوا بدمائه الإسلاما**
فاسأل "أبا طير" هنــــــاك وصحبه	**والباذلين المال والأجسامـــا**
هم في الديار أهلة وإذا دجـــــــــى	**ليل الخطوب تراهم الألغاما**
الله قال أعزة و"فعولنــــــــــــــــــــا"	**يتسكعون ببابهم أقزاما[9]**

قد أكثر الشاعر من استخدام القوافي المطلقة كما في تلك القصيدة، وهو بهذا يؤكد ما يراه بعض النقاد من أنَّ لتلك القوافي "التي يتحرك مدُّ النفس بالصوت رغبة منه في إيصال صوته إلى الغافلين؛ لإيقاظ مشاعرهم"[10]، كما يحاول الشاعر إظهار الواقع من خلال مرآة الماضي الذي ترسخ صورته في ذهنه، محاولًا أن يجسدها من خلال توظيف كل عناصر التراث وأدواته، فتارة يستخدم لغة التراث متمثلة بالمفردات **(إمام، عذبوه، الإسلاما، صحبه، الديار، أهلَّة، ليل)**، وكلها مفردات قرآنية، **قال تعالى: {{واجعلنا للمتقين إمامًا}}**، و**{{وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم}}**، **{{رضيت لكم الإسلام دينًا}}**، **{{وصاحبته وبنيه}}**، و**{{من الكافرين ديارا}}**، **{{يسألونك عن الأهلة}}**، **{{والليل إذا يغشاها}}**، ثم يحضر التناص القرآني في التركيب من **قوله تعالى: {{أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين}}**، وحقيقة المشهد الذي يديره في شكل حواري ثلاثي ابتداء عندما يضع نفسه في رتبة الخبير بشأن وطنه حاضرًا وتاريخًا، وهو يحاور شخصًا من بني جلدته، يطلب منه أن يجري حوارًا تساؤليًا مع أبي طير وصحبه، ثم يعود من جديد يسرد أخبارًا تلو بعضها، ثم ينقل حوار الرب سبحانه إلى عباده مخبرًا أنهم أعزة إذ نصروا دينه، وهكذا يخط الشاعر في بيته الأول موقفه إذ يوجد كمٌّ كبير يتكاثر يومًا بيومٍ ممن عذَّبه الأعداء من العلماء وأصحاب الفكر؛ بدافع طمس معالم الإسلام، ثم يأتي على ذكر من تعالقت أسماؤهم مشاهد في ذاكرته، منهم **(أبو طير)**، **و(أصحابه)**، ومَن بذل المال، وضحَّى بالجسد تعذيبًا واستشهادًا، فهؤلاء هم الأهلة وأقمار الديار في وسط الحلكة، وهم وسط الليل ووقت دجاه وعتمته لا يراهم إلا أهلًا للمجابهة، وأربابًا للتقدم، وألغامًا في طريق التحرير، نعتهم الربُّ الأعلى بالأعزة، وغيرهم أقزامٌ أذلة.

القيمة السادسة: بث الأمل والبشريات

بثُّ الأمل وشحذ الهمم خاصيتان لهما أثرٌ بالغٌ في النفس، وقد حضرا في المقطوعة التالية في ثوب نصائح؛ فبفضلهما يُزال الخوف، وتنطلق الحركة، حيث تبدأ العقول بالتفكر، والنفوس بالنهضة، والجسوم بالتحرك، والبنادق ترتفع، والرصاص يتحضر، **وفي قصيدة (رسالة من القدس)**، تتجلى بعض تلك المعاني، **فيقول:**

لا تخف أن يقتل الليل النهارا

أو يضل النهر في المجرى

وأن يحمل وجهًا مستعارا

لا تخف أن يسرقوا يومًا من الأرض

البذارا[11]

في بنية الطلب بأسلوب النهي الذي تردد مراتٍ في بحبوحة المقطوعة، المتزينة بزيِّ النصيحة والحرص، وبث الأمل، يصدر الشاعر طلبه الشجاع بالتصادق مع زمن النهار رمز الوضوح والبيان، ومكان النهر رمز الخصب والرِّي، والشخصيات البريئة التي لا تعرف التقنع بغير حقيقتها موجهًا طلبه الناهي **(لا تخف)** إلى كلِّ حرٍّ، مما قد تبرمه المؤامرات ليلًا؛ لتستهدف الحق الواضح الأبلج كالنهار، وفي عطفٍ آخر يُخفي فيه **(لا تخف)**؛ ليُفهم ضمنًا أنَّه لا داعي للخوف على الثورة الماضية من منبعها إلى وجهتها، ولا

داعي للخوف من أن تنافق الثورة الواقع، فتلبس وجه السلم بدلًا من وجه البركان الهادر، ثم أعاد تصدير نهيه بـ**(لا تخف)** من سرقة الأجيال، فالأجيال ستحمل الهمَّ نفسه، وتتوشح السلاح نفسه، وستسير في النهر الثوري نفسه، وفي ذلك كله بثٌّ للأمل، وشحذٌ للهمم، ودفقٌ لمشاعر الأمان،

الشكل الثاني: الوحدة الوطنية

القيمة الأولى: التآخي الوطني

قيم التآخي الوطني من أجمل القيم التي تتجلى في شوارع الثورة، وميادين المقاومة، يتشبث بها المجتمع الفلسطيني، ويتزين بها، فالأخوة الوطنية تجمع نفوسهم وسلاحهم في بيت الأواصر والتراص والوحدة، وبيت استيعاب الآخر، واحتوائه، فهم يدٌ واحدة، وشعلة واحدة، وثورة واحدة، ففي **قصيدة (يوميات فدائي في قاعدة متقدمة)**، يصل الشاعر بها إلى إقرار الكرامة للبنادق، **يقول الشاعر:**

يا إخوتي
وحين تسخن البنادق الملقمة
وتسمع النجوم آه...
وتجرح الدجى قذائف المقاومة
وتقطر الجباه والعيون أنجما
وتشعل الحياة نار
تقول كل نجمة في خدرها
ورملة في بحرها
تقول كل صخرة تحبنا... نحبها
أكرم بها بنادق الثوار!!
أكرم بها بنادق الثوار!![12]

إنَّ البنية الإيقاعية التي استخدمها الشاعر منحت النص الشعري جلجلة خاصة، تحرَّك معها الساكن، وتلوَّن معها الداكن، كأني به قد اختارها للإنشاد الحماسي الهادف، الذي يوحد الصف، ويلأم الجرح، ويقوي التآخي، ويرص الصفوف، ويحمس على التشارك والالتحام، مزودًا بالمعاني والعواطف والصور، تلك التي لا تنفصل بحال، فتارة يهتف الشاعر في إخوته الذين هم إخوته في الثورة والنضال والجهاد، ويواصل دفق شحنات شعورية يُلهم بها قارئ مقطوعته بقيمة المضي الجماعي في ذلك الطريق الشائك، ويخاطبه فيما لو عايش المرحلة كيف يتواصل الحراب ويقابله الأخوة بصوت واحد ويد واحدة، ثم يبدأ الشاعر في تصوير مشهد بطولي تشاركي يصف فيه البنادق حين تسخن من تلقيم الرصاص في بيوت النار، ويبرز تكسير الرصاص بصوته هدأة النجوم، ومواجهة القذائف وهي تلمع في وسط عتمة الليل، وترتفع الجباه كرامةً، والعيون تلمع أنجمًا، وتشتعل النار في الدروب، وتردد الطبيعة العليا الممثلة بكل نجمة في خِدرها مع الطبيعة الدنيا الممثلة بكل رملة من جموع كثبان الرمال، وبكل صخرة صماء تكشف عن لسانها، كلُّهم يرددون بصوتٍ واحدٍ **(نُحبُّها)**، فيا كرامة بنادق الثوار.

القيمة الثانية: المناصرة الوطنية

إنَّ قيمة الوَحدة والتناصر من أهمِّ القيم التي يجب أن تحيا دومًا في النفوس؛ فبدونها تحيا الجماعات حياة البؤس، ويستشري الضعف فيها، وتتلاشى ريحُها، وتهدأ عاصفتها، وتخمد نارها، ولا تسمع لها إلا همسًا، في وقتٍ تكون الجماعة فيه أحوج إلى الرفعة والقوة والاندفاع والثورة والعلن، وهذا يتجلَّى في قصيدة **(عكا تزف فتاها)، يقول:**

عشناك ضوءًا بكل العيون
فلست الوحيد الذي أدمن الحب والرفض
لست الوحيد الذي طاعن الليل في أخريات
الزمان الخؤون
ولست الوحيد الذي أنذر الناس
في (الطور) قبل ارتخاء الجفون
ولست الوحيد الذي شيعوه إلى غابة البرتقال
الحزين[13]

إن تقانة التكرار في النص الشعري أخذت أشكالًا وأبعادًا دلالية، فها هو النفي يتكرر مع الفعل الجامد المصحوب به ضمير الوصل (لست)؛ ليؤكد طبيعة الحال الذي عليه من كونه غير قابل للعزلة، ثم يتكرر الخبر المفرد المسبوق بالنفي **لـ(الوحيد)**؛ لأنه ليس لوحده، ثم يتكرر الوصف بالصلة **(الذي)** وفيها يؤكد صلته بالجماعة، وبدأ يستعين بتقانات أخرى؛ ليزيد النصَّ إغراءً، من تقانة استرجاع الأحداث **(لست الوحيد الذي طاعن الليل)، و(لست الوحيد الذي أنذر الناس)**، إلى تقانة توظيف الرمز **(الطور)**، وتقانة توظيف الطبيعة كونها واحدًا من موروثات الحياة التي عاشها، وهكذا ظلت علاقة القرب والتناصر تتعانق في ذات الشاعر ومن معه من أصحاب الكلمة والنخوة مع الفلسطيني الثائر المنتفض في وجه الكآبة والظلم والعتمة، فقد أرسلوا إليه دليل المواساة، فهو ما زال يعيش في عيونهم، وهم بذلك يؤكدون له دليل مواساتهم، التي هو مصدر ضوئها ونورها، ثمَّ أطلقوا إليه عبارات النصرة والتعاضد والقرب من خلال مشاركته آلامه وأوجاعه، فنفوا أن يكون الوحيد الذي يدمن الواقع المرير المنافق الذي يتردد بين الحب والرفض له، فهم معه، يشعرون بما يشعر به، ويحسون بما يحس، فحالتهم الشعورية انسحبت بتلك الشحنات الجماعية التشاركية إلى تأكيد النصرة والتعاضد والمعيَّة، من خلال نفي الوحدة الذي طعنته عتمة الليل بما تحمله من مؤامرات خائنة، حيث يتردد النفي بالفعل الجامد **(لست)** من جديد؛ ليحمل التشارك مرة من حتمية الإنذار من المصير، وأخرى من تشييعه؛ ليوارى في ثراه الأخير، ويرقد هناك حيث جذور برتقال يافا؛ التي شاركها الحزن، والألم، والمأساة، والفاجعة، وتظهر قيمة الوحدة والتناصر في القوة التي نشأت عنها تلك الحالة الشعورية المعنوية عندما يكونان متسلحَين بالاعتصام بحبل الله تعالى؛ لتكّن قيمةً كبيرةً؛ بل قيمًا تترى.

القيمة الثالثة: الثقة بأخوة العروبة والإسلام

شهدت الساحة الفلسطينية تعاضدًا بين الفلسطينيين أنفسهم، مسلمين ومسيحيين، كما شهدت تماسكًا وتناصرًا مع إخوانهم العرب، والمسلمين؛ لاستشعار الكل أنَّ فلسطين حقٌّ مسلوب تجب نصرته، وهي وطن مقدس، ينبغي ألا يخله حرٌّ في مشارق الأرض ومغاربها، وقد وثق الفلسطيني بتلك الأخوة الناصرة، والداعمة لقضيته أيَّما ثقة، **وفي قصيدة (رجل منهم)**، يلوِّح الشاعر بتلك المعاني، **فيقول:**

فلتشهد الأفلاك

أنَّ أخي... سيبري السهم... بعدي

ويفجر الإعصار يقذفه على الخصم الألدِّ[14]

من خلال اللام المؤكدة الآمرة للمضارع المتحول إلى الأمر المستقبلي طلب شهادة الأفلاك على سيرورة الأخوة من بعده في النهج الذي يسير عليه نفسه، فالسهم هو السهم، والطريق هو الطريق، مستمرٌّ في بري سهمه كناية عن المُضِيِّ في طريق الجهاد، كما سيظل متجهًا في طريق النضال، يُفجر الخصم الألدَّ بالإعصار

الشكل الثالث: الثورة الوطنية

القيمة الأولى: الثورة الوطنية منبت الحرية

لا يمكن أن تتحقق الحرية بالرايات البيض، أو بالحوار الهادئ، ولا يستطيع حرٌّ أن يصل إلى حقِّه المسلوب بالوعود المكذوبة، والآمال الخائبة؛ بل بقوة الثورة العارمة، وبرعد الحناجر، وفوهات البنادق، وأزيز الرصاص، وما تحمله الثورة من نار على كتفها حتى تحقق مراد أصحابها، وفي قصيدة **(رسالة من القدس)، يقول الشاعر:**

وعشقنا لغة الأرض

رضعناها!

وأرضعنا الصغارا...

وعرفنا كيف تغدو زفرة العاشق فوق السيف نارا

وعرفنا كيف نستل من الليل – وإن طال – النهارا[15]

يوظف الشاعر الضمير الجمعي **(نا)** موصولًا بالأفعال الماضية **(عشقنا، رضعنا، أرضعنا، عرفنا)**، مصحوبًا بنون المضارع الجماعية **(نستل)**؛ ليؤكد حقيقة مشهد العزة والمجد الجماعي، وثباته في الأذهان، فبهذا المشهد الذي حوى عديد اللقطات الخاطفة، وكأنه يوظف **(المونتاج)** كشف عن أصالة الشعب، فبدأ باللقطة الأولى وقد صوَّر نفسه مع أبطال شعبه عشاقًا هائمين بحب الأرض (عشقنا لغة الأرض)، ثم تحول إلى لقطة أخرى صوَّر فيها التحام الطفل بأمه في وضع الرضاعة **(رضعناها)**، ثم في لقطة أخرى، وبعد حالة من التشبع كيف بدا كلٌّ منهم ينشئ أبناءه ويغرس فيهم القيم نفسها، وهكذا تتوالى اللقطات في مشهد تصويري مليء بالحركات، وعاجٍّ بالمتناقضات، فصورة العشق الجماعي التي تولدت بين الثوار، والثورة ارتضتها الأرض أن تكون لغتها، حتى صار العشق المعنويُّ محسوسًا، إذ هو مصدر الحياة، ومنبع الطاقة،

وإرث الأبناء من الآباء، يأتي في هيئة الإرضاع، فقد رضعه الكبار، ثم هم أنفسهم يُرضعونه الصغار، مدركين من زفرات عشقهم للثورة التي هي لغة الأرض أمارات دالة على قوة العلاقة التي تجعل السيف في أيديهم نارًا على من يعتدي على تلك اللغة، مدركين عن معرفة، كيف يُخرجون النهار من عتمة الليل وظلمته؟ إشارةً إلى مهارتهم في النيل من الليل الذي تمثل الظلم فيه، وعدم الانغماس في وحله.

القيمة الثاني: محاربة الفساد والمفسدين في الوطن

أحسن الشاعر في تصوير قيمة وجود الرجل الوطني الذي يحتقر مظاهر الضعف والفساد والإفساد، كما أنَّه أبدع في عرض أشكالها، **يقول في قصيدة (ثرثرات في زمن مضى):**

أعلنت كثيراً....

من يقرع طبلاً لا يصلح يومًا للسيف

من يمضغ لحم أخيه فلن يمضغ لحم الأعداء....

من يرقص في زمن الحزن الدموي

فلن يرقص في زمن الفرح العربي

من يركب خيل الاستعراض....

وينفخها كالبالونات

فلن يتقن عزف الطلقات[16]

صورٌ فارقت صورًا، وتفرعت إلى صورٍ جزئية متقابلة، كلُّ واحدةٍ من تلكم الصور تتكون من مشهدين، يتكشفان على لسان الشاعر، فقد حرص على إعلانهما باستمرار، ودون تردد، حيث جسد المشهد الأول صورة رجل يشتغل بقرع الطبول، واستهواء الاشتغال بذلك دون أن يكون له سيفٌ يقارع به، أو يعده ليوم الكريهة؛ فهو لا يصلح أن يكون في صفوف المناضلين والمجاهدين؛ لأنَّ عزمه عزم طبل وزمر، وليس عزمَ ضربٍ بسيف، وعلى قدر أهل العزم تأتي العزائم، بينما يأتي المشهد الثاني حسب مفهوم المخالفة أنَّ الذي اعتاد حمل السيف يصلح أن يتقدم يوم الكريهة، ثم تأتي الصورة الثانية؛ لتظهر في مشهدها الأول حالة الرجل الذي يشتغل في القيل والقال، وغيبة الرجال، ونميمة في المقال، لا يحسن أن يردَّ الأعداء ويصدهم، ويتراءى المشهد الثاني ضمنًا حيث إنَّ مَن يكفَّ أذى لسانه، يُري أعداءه شدةَ فِعالِه، ويأتي المشهد التالي بصورة الرجل الذي لا يبالي بمصاب الناس، ولا يحزن لحزنهم، ويطرب عن الشجن، ويرقص في مقام آلام الآخرين، لا يجيد الرقص في أفراح الوطن والشرف والنُّبل، ويتقدم المشهد الضمني المقابل؛ ليُبيِّن أنَّ الذي يشارك الناس في آلامهم، ويحزن لمصابهم، هو مَن يُجيد الرقص في أفراحهم، ويلهو معهم في نواديهم، وفي مشهد آخر يصوِّر رجل الاستعراضات يركب خيلًا من بالونات؛ ليؤكد أنَّه لا يصلح ليوم الرصاصات والطلقات، وفي المشهد المقابل أنَّ مَن يصلح لذلك هو الفذُّ الذي تمرَّس على الفروسية، وأعدَّ نفسه واستعدَّ ليوم الكريهة، وتستمر مراقبة الشاعر للواقع، مسجلًا كثيرًا من المآخذ التي تحطُّ من قدرٍ الحكم العربي والإسلامي دونما إجحافٍ أو تجنٍّي، فقد رسم واقع حكام العرب والمسلمين مع شعوبهم.

القيمة الثالثة: وعي الفلسطيني المقاوم

كان الفلسطيني وما زال شخصيةً مثقفة، ومطَّلعة، وخبيرة، خاضت التجارب، فتعلمت منها، واحتكت بالأحداث بأطيافها وألوانها ونعومتها وخشونتها وازدادت منها علمًا، وكان مما شدَّه ليتعرَّف إليه ما يقوم به عدوه من مؤامرات، ومساجلات، ومماحكات، ووقائع، وهو ما يحكيه في **قصيدة (ربما)، التي يقول فيها:**

أيها المجرم الواغل في لحم الضحايا

أيها السارق أحلامي وقمحي

أيها الصابغ أظفار طواغيتك

من نهر دمايا

لم يزل في جعبة الثورة أوراق

وما زالت هدايا...

فانتظرها...

سوف تنبيك بها يومًا خطاي

سوف ((يا بيجن)) تأتيك قريبًا أو بعيدًا[17]

إنَّ توظيف الشاعر لمفردات منها **(اسم الفاعل)**؛ لكونها تحمل دلالة الفعل دون الزمن **(الواغل، السارق، الصابغ)**، يكشف بها عن ثبات الحال وجموده، لذا فقد هرب الشاعر نحو زمن المستقبل مستشرفًا الأمل عبر تقانة الاستشراف بدأها بالوعيد **(فانتظروها)**، ثم مضى يتخيل مواقف المستقبل كأنها حقيقة ماثلة أمامه، وفيها لا يجعل زمن الاستشراف مفتوحًا؛ بل يغلقه بخطاه هو **(سوف تنبيك بها يومًا خطاي)**، ثم تراجع عن هذا الإغلاق ربما يأسًا منه أن مقومات النصر قد لا تتحقق في زمانه فشرع في فتح بوابات الزمن نحو البعيد **(سوف... تأتيك قريبًا أو بعيدًا)..** ومن جهة الأسلوب فقد صدح الشاعر بالنداء الثائر الذي يحمل فيه شحنات الغضب الغليظ في وجه عدوه الذي سلبه الحق، وحرمه لِذَّة الحياة، يبدأه **بـ(أيها)** التي حذف حرف النداء منها؛ لأنه أراد المواجهة المباشرة مع عدوه دون أن تتدخل واسطة حرف النداء، بدأ المواجهة بالخبر اليقين في ثوب النعت الحسي والمعنوي، فقد أخبره صراحةً بأنه **(مجرمٌ واغلٌ في لحم الضحايا)، و(سارقٌ للأحلام ولقمة العيش بالكفاف)، و(قاتلٌ من نوعٍ فريد للأبرياء الذين صنع من دماهم المتكاثرة المراقة نهرًا كبيرًا)**، وإنَّ اختيار كلمة **(لحم)** مضافة إليها **(الضحايا)**، توحي أنه لم يفرِّق ـ **عندما قتل وانتهك** ـ بين **الصغار وكبار السن والشباب، ولم يميز بين النساء والرجال**، فكلهم أمامه سواء، ولا حرمة لهم، فلم يمنعه قانونٌ، ولم يرعَوِ لأخلاق، ومع ذلك لم يستكِن الثوار رغم عظمة المُصاب، وفدح الحال، ففي جعبتهم الكثير من الأوراق التي بها ينالون منه ما لا يتوقع، ويرسلونها إليه هدايا وقرابين، والشاعر هنا يتكلم على لسان كلِّ ثائرٍ أنَّ حقيقةً ما تنتظر العدو المجرم؛ ولكنه توقف عن الإخبار عنها؛ كي يسمح لِخُطاه في المستقبل أن تخبره عن ذلك؛ لكنه لم يستطع أن يُخفي عدوه الكبير، وهو **(بيجن)**، اللعين، متوعدًا أنَّ الأيام في القريب أو البعيد ستحمل له المفاجآت.

القيمة الرابعة: قيمة الجهاد في سبيل الله دفاعًا عن الوطن

إنَّ الجهاد في سبيل الله عقيدة يؤمن بها المسلمون جميعًا، فإذا ما أوجبه الواجب، لزم على المسلمين جميعًا أن يقوموا قومةً واحدة؛ لنصرة الإسلام والمسلمين، وفي قصيدة **(نشيد للقدس)**، يتضح أثر الجهاد في سبيل الله، **يقول الشاعر:**

وتهب ملحمة الجهاد تخط فوق القدس "بدرا"
تلوي بأعناق الطغاة... تكبُّهم... وجهًا... وصدرا
وتمزق "التنين" ... تحطم نابه... وتجز ظفرا
ويعود للأقصى "بلال" يملأ الآفاق سحرا
والمؤمنون الصادقون... يرتلون... الفتح... شكرا[18]

غلبت على النص الشعري العاطفة الإسلامية التي نشأ الشاعر في حضنها، حتى ولَّدت فيه حماسة الانتماء لوطنه وأمته، فترعرع في حبه وعشقه، لا سيما وهو يستحضر عظمة الواجب الشرعي تجاه الأرض المقدسة، لذا يركن الشاعر إلى هبةٍ جهاديةٍ على شكل ملحمةٍ أسطوريةٍ، ترسم طريق التحرير، بادئة بالاكتمال كما البدر فوق القدس العربية، تلك الملحمة التي تلوي أعناق الطغاة المتجبرين، وتُلقي بهم في مهاوي الرَّدى على وجوههم وصدورهم، تلك الملحمة الجسور التي تمزق جسد التنين، تشرخ رأسه، وتقطع جسده، وتحطم نابه، وتجز ظفره، فلا تُبقَى له كلمةً يتسلح بها، أو يدًا يبطش بها، أو ظفرًا ينهش به، حتى إذا ما قضى على هذا الشرس الحقود، والعدو اللدود، تفرَّغ لاستعادة صوت **(بلال بن رباح)** يؤذن فوق قباب المسجد الأقصى، يصدح بصوته الندي الساحر فيملأ به الآفاق، ويشرع المؤمنون الصادقون في ترتيل آيات سورة الفتح الأكبر، وإحراز النصر المؤزَّر، شاكرين الله بذلك أنْ وفقهم وأعانهم ونصرهم، ثم خرج الجهاد بما يتناسب مع تلك النفوس السامية.

القيمة الخامسة: التسلح بقوة العقيدة

العقيدة الإسلامية ركن الإيمان الذي إذا استقرَّ في قلب المسلم قوَّاه، وجعل منه شخصيةً لا تعرف للخوف أو الرهبة سبيلًا، وتصير أفعاله بها محمودة، ونبيلة، لذا ركَّز الشاعر على تلك المعاني، مبينًا قيمة العقيدة في النفوس، وأثرها في واقع الحياة، كما في قصيدة **(صرخة)، التي يقول فيها:**

قدري أن أكون وحدي في الـــ ساح وهذا الحصار والتطويق
قدري أن أعانق الموت مشدودًا وعيناي شبَّ فيها الحريق
غير أني على العقيدة باقٍ وسلاحي بكل باغٍ يليق[19]

المفارقة التصويرية التي تبدو الشخصية الذاتية الفلسطينية فيها حاضرة بيد القدر، وهي تقتنع بدورها الرئيس المركزي في تلك الأحداث الشاخصة المعقدة في تركيبها ووجودها، والشاعر في الوقت ذاته يحاول الوشي عن ذوات خفية كأنه يشير إلى أبناء الجلدة الذين يعيشون في بعدٍ عمَّا يعيش هو ذاته من الوحدة، والحصار، والشهادة، ثم يمنح شخصيته الذاتية القوة والقدرة على الصمود بتوكيد محصور **(غير أني على العقيدة باق)**، فتراه مرةً يستسلم للقدر الذي وقع فيه، من كونه وحيدًا في الميدان، فلا سند من قريب أو

صديق أو حبيب، فالكل تخلى عنه، وتركه يعاني الوحدة المضنية، والحصار البئيس، والموت الزعاف، والحريق الذي شبَّ في الأجساد والعيون وكل مكان، ورغم هذا القدر الذي لفَّه من كلِّ جانب، وضمَّه إليه، إلا أنَّ العقيدة انتشلته من الرضوخ؛ خشيةً عليه من الهلاك والضياع والتيه، فعادت إليه الروح الوطنية الثائرة ومعه سلاحه يمتشقه، فصدح في الفضاء المفتوح أنه باق في ثورته، وعلى كتفه سلاحه، يرفعه في وجه كلِّ باغٍ معتدٍ أثيم، صارخًا في وجوه الآخرين بأنه منجزٌ هدفه، ومحققٌ سعيه.

القيمة السادسة: البسالة والشجاعة الوطنية

شهدت البلدات الفلسطينية المحتلة بسالة نفوس أصحاب الحق وشجاعتهم، وظهر ذلك بشكلٍ غير خفي في أعمال **(محمود مفلح)، ففي قصيدة (رسالة من القدس)، يقول:**

نحن في "الكرمل"

في "الأغوار"... صخر... وجداول

وفي "الرملة"

خزان قنابل[20]

الكرمل والأغوار والرملة وأخواتها بلداتٌ فلسطينية ما زالت تسكنها النفس الفلسطينية الجمعية، وتحيا فيها، وتتراءى لها في كل وقت، وإنْ كانت الأجساد بعيدة مكانًا، فبُعدُ المكان لن يؤثر في هذا التمازج الثنائي بين البلدات وأصحابها، فما زالوا صخرًا تتكسر على سطحها كلُّ المؤامرات التي تحاول فصل هذا الثنائي، ويعلوهم الإصرار من أنَّهم سيبقون مددًا وجداول زاخرةً بالحب والعطاء، وفي المقابل هم خِزَّان وقود وقنابل على المحتلين المغتصبين للحق. **وفي قصيدة (رسالة من القدس)**، تتجلى روح الشاعر في التعبير عن تلك المعاني، **فيقول:**

نحن ما زلنا – كما كنا على العهد – نقاتل

يا أخي

لن تسقط الراية

لن تخبو المشاعل[21]

إنَّ ضميرُ جمع المتكلمين **(نحن)**، الذي ابتدأت به الجملة الاسمية، ومعه الضمائر التي اتصلت بـ**(ما زلنا)**، و**(كنَّا)**، كلها جمعاء تُجَسِّد حالةً من الثبات غير القابل للتغير أو التبدل، هو الثبات على العهد الذي أبرمته الجماعة، ووثقته بعرى الدين، وأواصر الدم القومي والوطني، وهو القتال من أجل استعادة الوطن، والحرية، وما سُلب من الحقوق، ثم نادى نداء الأخوة الذي اعتاده في معظم قصائده **(يا أخي)**؛ ليؤكد له بصوت مرتفع أن راية الحق لن تسقط، كما أنَّها لن تتعثر أو تذبُل أو تنطفئ جذوتها.

القيمة السابعة: الثأر والانتقام من الأعداء

إنَّ الفواحش التي ارتكبتها العصابات الصهيونية بحق الأبرياء الفلسطينيين لكثيرة، لا حصر لها، فمن قتل الأطفال، والنساء، والشيوخ، إلى الإعدام الجمعي، والتمثيل بالجثث، إلى الفتك بالأعراض، وهتك الأستار، إلى آلاف مؤلفة من الأسرى، وأشكال التعذيب الجسدي والمعنوي، والحصار والتجويع، والتنكيل،

والسرقات، ذلك كله جعل جروحًا غائرة متوارثة في النفس الفلسطينية، تتنامى تلك الجراح مع استمرار تلك الفواحش والجرائم من العدو؛ نشأ عنها إيمانٌ بالثأر، وتشفٍ بالانتقام، حتى صار الفلسطيني مفخرةً، وعنوانًا للتباهي، **ففي قصيدة (رجلٌ منهم)، يقول:**

يا رمز مفخرتي ومجدي

قولي لكل متيم بالأرض

إن الثأر قصدي

وملاعبي

هي منبت النيران في "صفدي ولدي"

ورفيقي الرشاش أحمله

ألقم فيه حقدي

شدي على الأعناق شدي

يا رمز مفخرتي

ومجدي[22]

نداء مفعمٌ بالفخر المتعالي، ومسلحٌ بالمجد العريق يطلب فيه مخاطبة كلَّ مُتيمٍ بأرضه بحقيقة لا مناص عن معرفتها، يؤكدها **بـ(إنَّ)** التي تخبر بلا شكٍّ أنَّ الثَّأر للدماء التي سالت، والحقوق التي استُبيحت، مراده وقصدُه، فهي ميدانه الذي يحب أن يمارس فيه ألعابه ولهوه، هذا الميدان التي تنبت فيه النيران المستعرة منشأها هو وبلدة **(صفد)**، حيث لا رفيق له في ذلك الميدان إلا سلاحه الرشاش، يحمله بعدما يلقمه رصاصًا من الحقد الذي تولد فيه على أولئك الذين قَتَلوا البراءة والفطرة وانتهكوا الحقوق، ويختم مقطوعته بنزعةٍ ثوريةٍ أخرى يكشف عنها فعل الأمر **(شدي)** الذي تردد مرتين؛ طالبًا أن يكون الشَّدُّ على الأعناق مشبعًا لنهمه، شافيًا لغليله، ثم عاد إلى ندائه من جديد؛ ليؤكد أنَّه غيرُ مكترثٍ بما يلحقهم به، ويصيبهم منه.

القيمة الثامنة: قيمة التحرر من العبودية

لم يتحقق الاستقلال الفلسطيني؛ لأسبابٍ عدة؛ لكن الأمل في تحقيقه لم يندمل بعد، وما زال الفلسطينيون يخوضون حروبًا شعواء، لا رجعة عنها، في سبيل تحقيق ذلك، فهم يقدمون التضحيات، وما زالوا، وهذا ما حدا الشاعر للتعبير **في قصيدة (برقية عاجلة من الولد الفلسطيني)، التي يقول فيها:**

متى نصير سادة

وننتهي من حالة العبيد!؟

متى نصوب السهام نحوهم لا نحونا

ونضرم اللهيب في خيامهم وليس في خيامنا...[23]

الشاعر يقدم هنا المفارقة التصويرية من خلال استدعائه للمعاني المتعاكسة التراثية **(نصير – ننتهي)، (سادة – عبيد)، (نحوهم – لا نحونا)، (في خيامهم – ليس في خيامنا)**، ومقارنتها بالواقع المحسوس المنافي لعظمتها تمامًا، معتمدًا على حس المتلقي في إدراك المفارقة؛ للخروج بتصور خاص حول الواقع

الراهن، ورؤية محددة. كما بلغ من تلك المفارقة البعد النفسي المكروب أقصى مستوىً له من الضيق عند العربي في كلِّ مكان، وهو يرى قرار المعاش والحركة والسكون لا يرجع إلى الحاكم العربي؛ إنما إلى أعداء العرب والمسلمين، فهم المتحكمون في مصائر العباد، وأرزاقهم، وحرياتهم، وأقوالهم، وأعمالهم، وظروف حياتهم، ويرى الشاعر أنَّ العربي لا يخرج من العبودية حتى يتخذ قرارًا حازمًا حاسمًا بأن يصوب سهامه على أعدائه، لا على أبناء شعبه، ويضرم اللهيب في كياناتهم ودولهم وخيامهم لا في أماكن بني قومه، وأبناء وطنه، وهنا تتضح قيمة التحرر من العبودية، من أنَّ السادة ليسوا مأجورين، ولا يقدمون إلا ما يصلح لشعوبهم، ولا يهدفون إلا لتحقيق ما يرفع ذكرهم، ويُعلي شأنهم.

القيمة العاشرة: قيمة التحرير الوطني والنصر المؤزر

لا شيء أسعد على النفس من الانتصار، لا سيما إنْ كان مؤزرًا على عدوٍ شَرِه كالعدو الصهيوني، الذي أثخن في الأرض والعرض والدم، ففي قصيدة **(الجهاد الكبير)**، تتجلى تلك المعاني، حيث **يقول فيها:**

إنها جولة العقيدة في الأرض

وهذي مواسم التحرير

آن أن ترحل النفايات عن أرضي

وتلغى طبائع الخنزير

آن أن تخرس الطبول ويطوى

علم الزيف والكيان الأجير

آن أن يزهر النخيل ويشدو

في الفضاء الرحيب سرب طيوري[24]

قد صور الشاعر التناقضات في كينونة لغوية تتقصى الكيمياء السحرية للكلمة والتشكيل ليس فقط في تقنيات على مستوى الإيقاع والصورة والتعامل مع التراث؛ إنما من خلال بنية القصيدة التي تقوم أساسًا على الدراما... الدراما التي تقوم على المفارقة[25]. وفي مشهد درامي يضج بالأشياء وأضدادها تتضح ملامح التعبير، يبدأها الشاعر بالتأكيد على قيادة العقيدة الصحيحة للأرض، فالأرض عمُرت بها، ولوَّحت في الآفاق بشائر النصر والتحرير، ثمَّ يُمني الشاعر نفسه بالأمل، ويستشرف انقلاب الأحوال إلى ما يتوافق مع رؤيته وأمانيه، فهو يأمل أن يرحل الفساد بما يحمله من نتن عن بلاد الشاعر وأرضه، ويأمل أن يحين إلغاء طبائع البريد ودمغاته التي أقرها الأعداء اليهود المنعوتون بالخنازير، ويأمل أن تخرس أفواه الباطل، وقرع الطبول، كما يأمل أن تطوى أيام الزيف، وتظهر الحقيقة، ويتلاشى الأجير اللقيط، وفي المقابل يأمل أن تزدهر أشجار النخيل الأصيل، ويولد جيلٌ يشدو في الفضاء أنغام الحرية، ويغني أمجاد الوطن دون قيد أو شرط.

الشكل الرابع: العروبة والقومية

القيمة الأولى: الانتماء للقومية والعروبة

إنَّ ملامح الشخوص التاريخية الإسلامية التي اختارها الشاعر تتواشج مع رؤيته ونفسه وإحساسه، الشيء الذي يكشفه شعره، بلغته، وثقافته، وعنوانات قصائده، وأسلوبه، الذي هو لسانٌ مستقلٌ بذاته، جذوره أساطير الكاتب الذاتية وأسراره"[25]، وقد اختار من العصر الإسلامي شخصيات بطولية **(عمر بن الخطاب، سعد بن أبي وقاص، طارق بن زياد)**، كما أنه عاد لأمجاد الحكم الإسلامي في **(دمشق)** عاصمة الخلافة، ومسجد الفتح، والبطولات التي خلدها التاريخ، وتظل الأرض الفلسطينية تصر دائمًا على بقاء الرابط المتين، والآصرة القوية مع شقيقاتها في الأمصار العربية؛ لكون تلك الأمصار امتدادًا للأمة العربية اجتماعيًا، وجغرافيًا، وسياسيًا، ولغويًا، فهي بيتٌ للفلسطيني آواه لمَّا هُجِّر من موطنه، فعاش في تلك الأمصار، واختلط بأهلها، وكان واحدًا من أبنائها، وتبوَّأ فيها مكانةً تليق به، وفُتِّحت له الأبواب، وسُهِّلت له الأعمال، فكان ارتباطه قويًا، وانتماؤه متينًا، ولذا لا غرابة لو مدح الشاعر الفلسطيني بلدته الثانية، كما فعل **(محمود مفلح)**، الذي لا تنفك منه مشاعر الحب، وصدق الانتماء، إلى الأمصار العربية التي استقر فيها حينًا من الدهر، **يقول في قصيدة (يا شام):**

هزني...هزني إليك المســــــاء   يا دمشق الشباب يا فيحـــــــاء
كلما شــــــع أول الليـــــــل نجم   قلت هذي نجومها والســــــماء
كلما رنّتّ المآذن صحنـــــــــــــا   من ربوع الشام هذا النــــــــداء
هذه ((الربوة)) الخضيرة...هذا   مسجد الفتح...هذه الأحيــــــاء
هذه شعلــــــــــــة الخلود وركبٌ   يقرع الدهر خطوة والحــــــــداء
فالتمس طــــــارقًا وسعدًا وعمراً   واتئد ريثمـــــــــــا يمر((البراء))
عصبــــة عن حمى العقيدة ذادوا   وعلى دربهــــــــــــا هم الشهداء[26]

تجلَّت الشام في نفس الشاعر وعينيه، وبدت فيهما، وهي تضمُّ مفردات الطبيعة الخلابة، وقد جمعت بين جمال المكان وجمال الزمان، فازدادت على حسنها حسنًا، واستخدم مفردات **(مساء، شباب، فيحاء، شعاع ليلٍ، نجومٌ، سماءٌ، ربوة، خضرة)**؛ ليؤكد تمازجها مع نفسه، غير متغافلٍ عن الجمال الديني الذي أكسبها تأنقًا وسحرًا، فسار بين **(مآذن ترن، نداء يصيح، مسجد الفتح، شعلة الخلود)**، ولم يكتف بذلك؛ بل حلَّق مسترجعًا ذكريات الأبطال العظماء؛ ليحكي للأجيال قصة عظيمة عن شامه، فهذا **(طارق بن زياد، وسعد بن معاذ، وعمرو بن العاص، البراء بن عازب، عصبة حماة العقيدة، شهداء)**، وقد استدعى الشاعر مفردات الطبيعة؛ لتشاركه رسم معالم الشام الجميلة، ولتنطق بما فيها من آيات السحر الأخاذ. واستدعى صور الأبطال الأُوَل الذين عرفهم العالم، فكانت لهم مع الشام نفحاتٌ وجولاتٌ وصولات. وبقيت الشام في نفسه تمثل صورة التراث بمآذنها، ومسجد الفتح فيها، وصيحات المؤذنين. **وفي قصيدة (كلمات مضيئة جدًا)، يقول:**

أكتب شعرًا!

جرحي أدهى من كل الأشعار وأخطر

جرحي يا مصر عميق عمق الغور وعمق البحر الميت

مسفوح مثل الأحلام المسفوحة في اللد وفي بيسان

جرحي أواه...!

لماذا لم يغسله المطر الساقط في العاشر من رمضان؟

ولماذا لم يلمسه البرق الراكض ظهرًا في تشرين الأول

ولم يعرف موسيقا العودة...!؟

ولماذا لم يحرق طارق سفن النصر على الشيطان!؟[27]

مشهد من الدراما التراجيدية يحتوي على لقطات بكائية للشاعر لا تقف عن كتابة الكلمات، فقد حاول أن يُحاصر نزف إحساسه ومشاعره من جرحه العميق؛ لكنه لم يستطع، حاول أن يلقننا تقريرًا إخباريًا مأساويًا فلم يُفلح، ثم بدأنا نسمع صراخه من ذلك التكرار لأصواتٍ اكتنزت نغم الحزن والألم (جرحي) تكرر ثلاث مرات، و(عميق) تكرر بلفظه مرتين، وبمشتقه مرة، والتكرار الصوتي لاسم التفضيل **(أدهى، أخطر)**، ولاسم الفاعل **(ساقط، عاشر، راكض، طارق)**، والتوازن الصوتي بين **(بيسان، رمضان، شيطان)**، كما أنَّ الدوال **(جرحي، أدهى، أخطر، مسفوح، ساقط، راكض، البحر الميت، يحرق)**، زخرت بدلالات كئيبة، تشي بكم هائل من الأسى، وتصب حممًا من الشجن والألم النفسي، كما أتى أسلوب الاستفهام؛ ليزيد تلك الشحنات ألمًا من خلال دلالة النكران، وحمل الشاعر مع كل هذا وذاك نداء المستغيث، بادئًا بـ**(مصر)** العروبة، كاشفًا لها عن عمق المُصاب، شبهه بعمق البحر الميت الذي يكابد النزف نفسه، وسرعان ما تأوَّه من جديد، فخبَّرنا عن هيئة السفح ومكانه، فهيئته لا تخرج عن كونها أحلامًا مهدورة تلاشت دون فائدة، لا يكترث لها حتى رائيها، حيث إنَّ مكان السفح البلدات المحتلة **(اللد)، و(بيسان)**، وما زال صراخه جامحًا، يتأوه ويصرخ من شدته. وبدأ يتساءل وهو في حالة الشدة، وعمق المصاب، يريد أن يعرف سبب امتناع المطر الذي سقط في العاشر من رمضان هناك بمصر عن غسله، وكأنه يستنكر ما حملته تلك الهبة الحربية العاجزة عن غسل الدم النازف، وقطب الجرح، ثم ينتقل إلى تشرين الأول وما كان فيه مما لم يستطع أن يؤملنا حتى في إيقاف النزف وغلق الجرح؛ بل جهل أن يلحِّن لموسيقى العودة، ثم يعود الشاعر للوراء ليتأوه من جديدٍ بسؤال النفس المحترقة عن سبب امتناع طارق بن زياد عن إحراق الشيطان بسفن النصر الذي أحرزه؛ لتكون نهاية الظلم، ووأدًا للفتنة والمحنة.

القيمة الثانية: قيمة الموقف العربي من القضية العادلة

تتغير المواقف، وتتبدل الأحداث، وتموت الأجيال، وتتقلب الأمزجة، ذلك كله عاشه الفلسطيني في غربته عن وطنه، فالحبيب مات وأخلفه كاره مبغض، والوفي تبوَّأ مكانه خائن، والصديق صار عدوًا، وانقلب الحال، وتغير المقال، **ففي قصيدة (صرخة)**، التي يكشف فيها عن ذلك كله، **يقول:**

أي شيء أقول في زمن الخلف؟ وماذا يفيدني التنميـــــــــــــــــــق؟

كلهم يرقصون فوق جراحـــــــي وذراعي مُكبل موثـــــــــــــــــوق

كلهم أغمد الخناجر في ظهري تباعاً فإنه التنسيـــــــــــــــــــــــق

كلهم واقف على القبر يبكيني أشجو بكاؤهم أم نعيـــــــــــــــــــــق؟

أرصاص اليهود مزق أشلائي؟ أم الصمت والكلام الرقيـــــــــــــق؟[28]

مشهد درامي تراجيدي يتحامل عليه الشاعر؛ للبوح عن حقيقة واقع وطنه المرير وفق تعاطي الأمة الإسلامية والعربية معه، تساؤلات حائرٍ حيرى بلا إجابات؛ بل إجاباتها تحمل دلالات مريعة، تبدو الحيرة في اختيار حديثه عن الزمن الذي يعيش فيه، داعيًا نفسه إلى الصراحة إنْ أراد الكلام، يصدره من غير تنميق، يصف فيه الواقع والحقيقة، بلا زيادة، ولا تدليس، ولم يستطع إخفاءها طويلًا حتى جاء بخبرها، بدت حقيقةً مُرَّةً، فكلُّ الذين رآهم وتعايش معهم يرقصون فوق جراح الفلسطيني النازف، وهم جميعًا يرقصون عليها وذراعاه موثوقان مقيدان بالسلاسل، والشاعر هنا يؤكد حضورهم جميعًا في حفلة التشفي والغدر، فهم الذين أغمدوا خناجر غدرهم وانتقامهم في ظهره تباعًا من خلال التنسيق والتطبيع مع الأعداء، وهم جميعًا واقفون على قبر القضية يتباكون، ومن دقة تمثيلهم للدور الحزين صار حائرًا في التخمين الذي لم يستطع بسببه تمييز بكاهم أهو حزنٌ حقيقيٌ أم بكاء التماسيح مجرد نعيق وزعاق خاوٍ، وهو حائرٌ كذلك في معرفة مصدر النيران الذي يستهدفه هل خرج من عدوه المباشر؟ أم أنَّه خرج من بني جلدته العرب الخائنين المنافقين بشكلٍ صامت حينًا، وبشكل كلامٍ معسولٍ لطيفٍ حينًا آخر.

نتائج البحث:

خلص البحث إلى مجموعة من النتائج، منها ما يلي:

أولًا: الأعمال الشعرية الكاملة للشاعر **(محمود مفلح)**، مفعمة بالقيم الوطنية المتعددة.

ثانيًا: استخدم الشاعر أساليب مختلفة؛ لتصوير القيم الوطنية بما يتناسب مع أهميتها، وضرورتها.

ثالثًا: يمكن القول أنَّ الغلبة في أعمال الشاعر كانت للقيم الدينية والوطنية، والقيم الوطنية تمثل من خلال استقراء الباحثة لها نسبة تقارب **(65%)** من مجموع الموضوعات التي أَهَمَّته.

رابعًا: كان الشاعر حريصًا على بثّ روح الوطنية، وأكثر من ذلك؛ لاستعادة حياة القضية الفلسطينية في نفوس أبنائها من جهة، وإيصال رسالته الوطنية للعالم أجمع من جهة أخرى.

خامسًا: غلب على الشاعر الشجن والحزن من الواقع الذي يعيشه الوطن، وهو واقع ملبدٌ بالغيوم السوداء، وتطوف حوله الكثير من الغربان التي تحمل الأخبار المفزعة، وهذا يظهر من خلال المفردات الكثيرة التي استخدمها في قصائده، ومن خلال الإكثار من استخدام أساليب النفي، والنهي، والأمر.

سادسًا: تنوعت القيم الوطنية التي أدلى بها الشاعر في أعماله الشعرية، ما بين قيم وطنية تُظهر أهمية الوطن، والتمسك به، والدفاع عنه، وبذل الغالي لأجله، ومحاربة أعدائه والمتربصين به... الخ.

سابعًا: أثبت الشاعر انتماءه الوطني الراسخ عبر تردد معاني الوطنية وقيمها في أعماله، وقدَّم صورةً الفلسطيني الوطني النبيل، الذي حمل هموم الوطن، ومآسيه، من التشريد، والإبعاد، والقتل، والفتك،

واغتصاب الحقوق، وانتهاك الحرمات، كما اعتزّ الشاعر بكلماته؛ لكونها السلاح الذي استطاع امتلاكه؛ للذود عن وطنه، والدفاع عنه.

توصيات البحث:

يتوجه البحث إلى المهتمين بمجموعة من التوصيات، منها:

أولًا: التركيز على استظهار القيم الوطنية المتعددة من الشعر العربي لا سيما عند الشعراء الفلسطينيين، وبثها في الروح الفلسطينية؛ لتزداد رفعةً، وسموًا، وتحطُّ على أشرف المراتب والمستويات، وتعلو أمام تراجع الشخصية العربية عن بعض مبادئها.

ثانيًا: التركيز على استظهار القيم الخاصة بالانتماء للوطن، والوحدة الوطنية، والتناصر القومي، والاعتصام الديني، وغير ذلك؛ وبثها عبر الإعلام، لاستمالة النفوس العربية نحو القضية الفلسطينية، واستنهاض الهمم؛ لتخرج من سبتها العميق، وهزالها المتراخي.

ثالثًا: تضمين القيم الوطنية المتعددة في المناهج الفلسطينية المختلفة بدءًا من المرحلة الأساسية إلى الجامعية؛ لتشمل القيم الوطنية كلها؛ لتعزيزها في النفوس، وتقوية الرباط بين الوطن والمواطن.

رابعًا: لا بدَّ من خروج الشعراء الوطنيين إلى العلن، ومنهم الشاعر **(محمود مفلح)**؛ ليعلنوا عن تلك القيم التي تدعم القضية الفلسطينية، وتظهر حقيقتها، وتبث روح الوطنية في نفوس الأفراد والجماعات، وخاصة الشباب، كما تظهر شؤم المحتل، وجبروته، وإرهابه، من خلال تصوير فني لجرائمه في حق الوطن، بكل مكوناته لا سيما الإنسان.

هوامش البحث

(1) ابن منظور، محمد، *لسان العرب*، مادة (قوم)، وينظر *الصحاح في اللغة*، للجوهري، مادة (قوم).	(16) السابق، 9/1.
(2) ستار، عبد الله، إشكالية التلقي في جدل الحداثة الشعرية، 2	(17) السابق، 21/1.
(3) مجمع اللغة العربية، *القاموس المحيط*، مادة قوم	(18) السابق، 45/1.
(4) خلف، عبد الرازق، و حسين، الهيمنة السردية وتقنياتها الإجرائية في النص الشعري الحديث – ياسين طه – أنموذجًا – ، 4	(19) السابق، 176/1.
(5) الفيروز آبادي، محمد، *قاموس المعجم الوسيط*، مادة قيم.	(20) السابق، 188/1.
(6) البطليوسي، ابن السيد، الإنصاف في التنبيه على المعاني والأسباب التي أوجبت الاختلاف بين المسلمين في آرائهم، 106	(12) السابق، 93/1.
(7) عبد الرحمن، طه، *الحق العربي في الاختلاف الفلسفي*، 68.	(21) السابق، 148/1.
(8) مفلح، محمود، *الأعمال الشعرية الكاملة*، 95/1	(22) السابق، 43/1.
(9) مفلح، محمود، *الأعمال الشعرية الكاملة*، 95/1	(23) السابق، 43/1.
(10) عبد القادر، بسيم، في النقد التطبيقي، 113	(24) السابق، 22/1.
(11) مفلح، محمود، *الأعمال الشعرية الكاملة*، 135/1.	(25) البحراوي، سيد، الحداثة العربية في شعر دنقل،125
(12) السابق، 101/1.	(26) السابق، 150/1.
(12) السابق، 101/1.	(27) عيد، رجاء، التجديد الموسيقي في الشعر العربي،12
(13) السابق، 113/1.	(28) السابق، 132/1.
(14) السابق، 43/1.	(29) السابق، 72/1.
(15) السابق، 19/1.	(30) السابق، 66/1.

المراجع:

- ابن منظور، محمد بن مكرم (2010) لسان العرب، دار صادر، بيروت.
- الفيروز آبادي، محمد (2005)، معجم القاموس المحيط، ط8، مؤسسة الرسالة، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي.
- عبد الرحمن، طه (2006)، الحق العربي في الاختلاف الفلسفي، ط2، المركز الثقافي العربي، المغرب.
- مجمع اللغة العربية (2004)، المعجم الوسيط، ط4، مكتبة الشروق الدولية.
- مفلح، محمود (2017)، الأعمال الشعرية الكاملة، ط1، فلسطين، مؤسسة إحياء التراث وتنمية الإبداع.
- ستار، عبد الله(2008).إشكالية التلقي في جدل الحداثة الشعرية؛ عبد الله ستَّار، مجلة كلية التربية الأساسية، ع53
- خلف، عبد الرازق؛ وحسين، يونس(2008). الهيمنة السردية وتقنياتها الإجرائية في النص الشعري الحديث – ياسين طه – أنموذجًا –، مجلة كلية التربية الأساسية، 4.
- البطليوسي، ابن السيد(2007). الإنصاف في التنبيه على المعاني والأسباب التي أوجبت الاختلاف بين المسلمين في آرائهم، دار الفكر، دمشق، تحقيق: محمد رضوان الداية.
- عبد القادر، بسيم (2005). في النقد التطبيقي، ط1، دار المعالم الثقافية بالأحساء، المملكة العربية السعودية.
- عيد، رجاء(1993). التجديد الموسيقي في الشعر العربي، منشأة المعارف، الإسكندرية.
- البحراوي،سيد(2003).الحداثة العربية في شعر دنقل، ضمن كتاب دراسات نقدية في أعمال السياب، حاوي، دنقل، جبرا.
- عياد، شكري (1983) . قراءة أسلوبية لشعر حافظ، م. فصول، 3(2)، 4.

References

Abd A-lQader, N. (2005). *In the Applied Criticism*. 1st ed., Dar Al - Ahsa Cultural Center: Kingdom of Saudi Arabia.

Abd Al-Rahman. T. (2006). *The Arab Right to the Philosophical Difference*.2nd ed., Arab Cultural Center: Morocco.

Academy of the Arabic Language (2004). *Al-Waseet Dictionary*.4th ed., Al-Shorouq International Library.

Al-Bahrawi, S.(2003). "Arab Modernism in Dunkul's Poetry". *Critical Studies in the Works of Al-Sbbab, Hawi, Dunkul and Jabra.*

Al-Batlyousi, I. (2007*). Equity in Alerting on Meanings and Reasons that Impose Differences in Muslims' Opinions.* Dar Alfekr: Damascus, editor: Mohammed Radwan Al-Daya.

Alfairouz A'badi, M. (2005). *Qamus Al-Muhit Dictionary*. 8th ed., Alrisalah Foundation, Editor: Mohammed Naem Al-Erqsousi.

Ayyad, S. (1983). Stylistic reading for Hafez's Poetry. *Fosoul Journal*, 3(2), 4.

Eid, R. (1993). Musical Renovation in the Arab Poetry. Al-Maaref Institution: Alexandria.

Ibn Manzuor, M. (2010). *Lisan Al-Arab*. Dar Sader: Beruit.

Khalaf, A. & Husein, Y. (2008). The Narrative Dominance and its procedural Techniques in the modern poetic text. Yaseen Taha, Model, *Journal of the Faculty of Primary Education,* No.4.

Mufleh, M. (2017). *Complete Poetic Works*. 1st ed., Palestine: Heritage Revival and Creativity Development Foundation.

Sattar, A. (2008). Problem of Receipt in the Controversy of poetic Modernism؛ Abd Allah Sttar, *Journal of the Faculty of Primary Education,* No.53.